



ملاح المنهج التاريخي والمقارن في التراث العربي

د. أليف نور عمراًو غلو

أستاذة اللغة العربية في كلية الإلهيات، جامعة هكاري، تركيا

البريد الإلكتروني: enomeroglu@gmail.com

المخلص

يتناول هذا البحث ملاح المنهجين التاريخي والمقارن في التراث العربي، ويهدف إلى بيان أسسهما المعرفية، والكشف عن مظاهر حضورهما في الدراسات العربية قديماً وحديثاً. وقد استُهلَّ البحث بتوضيح مفهوم المنهج لغةً واصطلاحاً، ثم تناول تعريف كلٍّ من المنهجين التاريخي والمقارن، مع بيان مبادئهما وأهم خصائصهما، وأوجه الاختلاف بينهما. كما حُصِّص القسم الرئيس من الدراسة لتتبع تطبيقات هذين المنهجين في التراث العربي، من خلال استعراض إسهامات العلماء العرب قديماً وحديثاً في توظيفهما بمختلف مجالات البحث والدراسة. واعتمدت الدراسة هذا المنهج في تتبع نشأة المنهجين وتطورهما، ورصد جهود العلماء العرب في الإفادة منهما عبر العصور، وذلك وفق تسلسل زمني يبرز مراحل تطورهما وأهم مظاهرهما. وقد خلص البحث إلى أن المنهجين التاريخي والمقارن تبلورا في صورتها العلمية الحديثة خلال القرن الثامن عشر، وشهدا ازدهاراً ملحوظاً في القرن التاسع عشر، غير أن كثيراً من المبادئ والإجراءات التي يقوم عليها كانت حاضرة في التراث العربي منذ عصور مبكرة، وهو ما تكشفه جهود العلماء العرب في دراسة الظواهر وتحليلها، وربطها بسياقاتها التاريخية، وإجراء المقارنات بينها؛ بغية الوصول إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية.

الكلمات المفتاحية: الدراسات اللغوية العربية، مناهج البحث اللغوي، المنهج التاريخي، المنهج المقارن، التراث العربي.



Features of the Historical and Comparative Method in the Arab Heritage

Dr. Elif Nur OMEROGLU

Lecturer of Arabic Language, Faculty of Theology, Hakkari University, Turkey

Email: enomeroglu@gmail.com

ABSTRACT

This research examines the features of the historical and comparative methods as manifested in the Arab heritage, aiming to elucidate their epistemological foundations and to uncover the dimensions of their presence in Arab scholarly studies across both classical and modern periods. The study opens with a clarification of the concept of methodology in its lexical and terminological senses, followed by a systematic definition of each of the two methods — the historical and the comparative — along with an exposition of their underlying principles, their most salient characteristics, and the points of distinction between them. The principal section of the study is devoted to tracing the applications of these two methods within the Arab heritage, through a comprehensive review of the contributions of Arab scholars — both classical and modern — in employing them across various fields of research and inquiry. The study adopts the historical method in tracking the genesis and evolution of both methods, and in documenting the efforts of Arab scholars to draw upon them throughout the ages, following a chronological sequence that highlights the stages of their development and their most prominent manifestations.

The research concludes that the historical and comparative methods crystallized in their modern scientific form during the eighteenth century and witnessed remarkable flourishing in the nineteenth century. Nevertheless, many of the principles and procedures upon which they rest were already present in the Arab heritage from an early period, as evidenced by the efforts of Arab scholars in studying and analyzing various phenomena, situating them within their historical contexts, and drawing comparisons among them with a view to arriving at conclusions of greater precision and objectivity.

Keywords: Arabic Linguistic Studies, Linguistic Research Methodologies, The Historical Method, The Comparative Method, Arab Heritage.



المقدمة

يُعد المنهج ركيزة أساسية من ركائز الدراسات العلمية، وقد أنجز علم اللغة تقنين مجموعة من المناهج لدراسة اللغة، وكل منهج من هذه المناهج يسد حاجة يتطلبها الواقع اللغوي، فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغيير اللغوي عبر الزمان، والبعض الآخر ينهض بهدف التأصيل اللغوي وتصنيف اللغات إلى أسرٍ لغوية، وبعضها يأتي لتحقيق غاياتٍ تربويةٍ في مجال تعليم اللغات.

وعلم اللغة يستخدم المناهج الأربعة التالية:

- 1- المنهج الوصفي.
- 2- المنهج التاريخي.
- 3- المنهج المقارن.
- 4- المنهج التقابلي.

يتناول هذا البحث تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً، والوقوف على المنهجين التاريخي والمقارن، وأبرز خصائصهما، والفرق بينهما، وبالإضافة إلى ربط الدراسات التاريخية والمقارنة بجذورها في التراث العربي وواقع العربية المعاصرة.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم المنهج؟
2. ما هو المنهج التاريخي وما هي مزاياه؟
3. ما هو المنهج المقارن وما هي مزاياه؟
4. هل اجتهد علماء العربية القدامى في المقارنة بين العربية وغيرها؟
5. ما هي الدراسات التاريخية والمقارنة عند اللغويين العرب المحدثين؟

أهمية البحث:

يكتسي البحث أهميته من عدة جوانب، أبرزها:

1. أنه تطرق لموضوع له الأثر البالغ في الدرس اللغوي، فالمنهجان التاريخي والمقارن هما من أبرز المناهج التي ساهمت في تطوير علم اللغة.
2. أنه اجتهد في إبراز إسهامات العلماء العرب القدماء في هذا الباب؛ بغية إثبات أصالة التفكير المنهجي قبل أن تصقل صورتها الحديثة بمصطلحاتها المعروفة.
3. أنه يجمع بين البُعدين النظري والتطبيقي؛ إذ لا يكتفي بعرض تعريف المنهجين وخصائصهما، بل يرجع إلى مؤلفات العلماء العرب قديماً وحديثاً لتتبع تطبيقاتهما الفعلية.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق عددًا من الأهداف، أبرزها:

1. التعريف بالمنهجين التاريخي والمقارن، وبيان أسسهما المعرفية وخصائصهما المنهجية وأوجه الاختلاف بينهما.
2. الكشف عن مظاهر تناول هذين المنهجين في التراث العربي قديماً وحديثاً، من خلال تتبع دراسات العلماء العرب وجهودهم في توظيفهما في تحليل الظواهر اللغوية والأدبية والعلمية.
3. إثبات أن كثيراً من المبادئ والإجراءات التي يقوم عليها المنهجان في صورتها الحديثة كانت حاضرةً في التراث العربي قديماً، وإن لم تُعرف بمصطلحيهما الحديث.
4. إظهار الفكر المنهجي وعمقه لدى العلماء العرب القدماء، والتنويه بإسهامهم المبكر في بناء المعرفة الإنسانية.



حدود البحث:

1. الحد الموضوعي: يقتصر البحث على دراسة المنهجين التاريخي والمقارن دون سائر المناهج اللغوية الأخرى، وإن كان قد أشير إلى بعضها عرضاً في سياق التمييز بينها.
2. الحد الزمني: يتتبع البحث جهود العلماء العرب منذ الأزمنة الأولى للدرس اللغوي العربي ممثلة في الخليل بن أحمد وسيبويه وأصراهما، وصولاً إلى اللغويين العرب المحدثين في القرن العشرين.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الوصفي في ذكر تعريف المنهجين التاريخي والمقارن لغةً واصطلاحاً، وبيان مبادئها وخصائصها وأوجه الاختلاف بينهما، ويعتمد على المنهج اللغوي التحليلي أيضاً، فلم يقتصر البحث على العرض والوصف، بل حلل العلاقات والفروق بين المنهجين، إضافة إلى المنهج التاريخي الذي تتبع البحث من خلاله نشأة المنهجين وتطورهما، ورصد جهود العلماء العرب قديماً وحديثاً في توظيفهما، وفق تسلسل زمني يبرز مراحل تطورهما وأبرز مظاهرهما

الدراسات السابقة:

أبرز الدراسات السابقة المتعلقة بالمنهج التاريخي والمقارن هي:

- المنهج المقارن بين التراث والمعاصرة لكامل مرزوك: وهو بحثٌ منشورٌ في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج.7، ع.3، 2017.
- العربية في ضوء المنهج المقارن: دراسات المستشرقين الألمان أنموذجاً لعبد الحسن الجمل: وهو بحثٌ منشورٌ في مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة الكوفة، ع.12، 2011.
- المنهج المقارن وأثره في الدراسات اللغوية لخالد خالدي: وهو دراسةٌ منشورةٌ في مجلة الموروث بجامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، مج.10، ع.2، 2023.
- مساهمات علمانا الأوائل في حقل الدراسات السامية: استطلاعٌ وتحليلٌ في ضوء المنهج التاريخي المقارن لعبد الحميد الأقطش: وهو دراسةٌ منشورةٌ في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج.10، ع.4، 1995.

ملاحح المنهج التاريخي والمقارن في التراث العربي

المنهج لغةً:

المنهج: اسمٌ مشتقٌ من (نهج)، جاء في مقاييس اللغة: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، والآخر الانقطاع، وأتانا فلانٌ ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلاناً حتى أنهج، أي: سقط"¹.

المنهج اصطلاحاً:

المنهج بوجهٍ عامٍ: وسيلةٌ محددةٌ تُوصل إلى غايةٍ معينةٍ، وعند محمد عبد العزيز عبد الدايم: المنهج هو الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيءٍ محددٍ، أو الطريق الواضح، أو الخطط المرسومة، ودلالة المنهج تتمثل كما يلي:

- إجراءً أو عمليةً لإحراز موضوع.
- إجراءً منظماً أو حالةً يطابقها نظامٌ أو فنٌ خاصٌ، أو يناسبها.
- خطةٌ تُتبع في تقديم مادةٍ للتعليم.

¹ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، ط2، (عمان: دار الفكر، 1399هـ - 1979م)، 361/5.



ويرى اللغويون أن المنهج المستخدمة في العلوم يجب أن تقوم باعتبارها إذا كانت تؤدي إلى نتائج تتوافق مع الاختبار مدى شرح النظرية التي تستخدم هذا المنهج للحقائق التي تدرسها، واختبار مدى مناسبة هذه النظرية للنظريات التي تتعامل مع الحقائق الأخرى المتصلة بالحقائق المدروسة².

المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي: عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون، وهذا المنهج يبحث في قضية لغوية من حيث تطورها وتغييراتها خلال التاريخ في عصر بعد عصر، حسب استمرار نموها وتطورها، وأساس العمل بالمنهج التاريخي هو تتبع الظاهرة اللغوية على مدى متعاقبة من الزمان يقصد التعرف على ما أصاب اللغة من تغير أو تطور؛ وعلى هذا القياس نستطيع أن ننظر إلى حالة اللغة العربية قبل الإسلام وبعده وصولاً إلى الوقت الحالي³.

بدأت الدراسات اللغوية التاريخية سنة 1816م متداخلة مع الدراسات المقارنة، وقد اعتُبر جريم مؤسساً لهذا النوع من الدراسات اللغوية التي تستهدف معرفة جميع التطورات في لغة ما من خلال مجموع تاريخها، وليس إثبات القرابة بين اللغات.

ويتناول ميدان المنهج التاريخي اللغة المعينة من حيث مفرداتها وقواعد التنظيم فيها، وأساليبها عبر مراحلها التاريخية المختلفة، فيتبع اللغة منذ عصرها الطفولي كيف كانت المفردات فيه؟ ومعانيها؟ وكيف كانت القواعد التي تنظم الكلمات من أحوال إعرابية وصرفية واشتقاقية، وأحوال التركيب وصلاتها بالمعاني، وما تقتضيه من أحكام لغوية وأدبية وبلاغية. ويعنى كذلك بوصف كل مرحلة من هذه المراحل وصفاً دقيقاً من حيث النواحي السابقة في مستوياتها الصوتية والدلالية والتركييبية والأسلوبية، راصداً التطورت التي اعترت المواد اللغوية والتغيرات التي مرت بها والعوامل التي أثرت فيها ونتائج ذلك كله⁴.

ولا شك أن الدراسة اللغوية التاريخية لا تقوم إلا بعد استيفاء المراحل الوصفية المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة، انتهاءً بتدوين تاريخها صوتياً وفونولوجياً ونحوياً وقاموسياً ودلالياً.

المنهج المقارن:

المنهج المقارن: هو منهج يُطبَّق على مجموعة لغوية -لغتين أو عدة لغات- منتسبة إلى أصل واحد بعيد، خضعت في تاريخها الطويل لتطورات منفصلة، ويهتم الباحث في علم اللغة المقارن بمقارنة مجموعة من اللغات من ناحية أو أكثر، بُغية حصر أوجه التشابه بينها لغرض إيضاح العلاقات التاريخية التي تربط بينها.

يعدُّ العالم الإنجليزي وليام جونز (ت: 1796م) المؤسس الفعلي للمنهج المقارن سنة 1786م، فهو أول من قدَّم لعالم الدراسات اللغوية آراء عن العلاقة القوية بين السنسكريتية (لغة الهند القديمة) ومجموعة من اللغات الأوربية كاللغوية اللاتينية والقوطية والسلافية والكلتية، وقد ظهر أول كتاب يتبنى هذا المنهج لفرنز بوب سنة 1816م بعنوان: (تصارف الأفعال في السنسكريتية بالمقارنة بينه وبين نظام اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية)، وتم نشر العديد من الكتب في نفس الباب بعد هذا الكتاب.

كذلك ألف كارل بروكلمان كتاباً من جزئين سماه: (الأساس في النحو المقارن للغات السامية)، وظهر الجزءان على التوالي، الأول سنة 1908م، وموضوعه: أصوات اللغات السامية وأبنيتهما الصرفية، والثاني سنة 1913م، وموضوعه: دراسة الجملة في اللغات السامية.

يتناول هذا المنهج مجموعة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، وقد انقسم هذا النوع من الدراسات اللغوية المقارنة إلى ثلاثة تيارات، هي:

- المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغات الهندية والأوروبية.
- عقد الموازنة بين اللغات والكائنات الحية.

² محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العرب، ط1، (القاهرة: دار السلام، 1427هـ - 2006م)، 21.

³ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، (بغداد: دار الشؤون الثقافية والعمامة، 1406هـ - 1986م)، 36.

⁴ ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط8، (القاهرة: عالم الكتب، 1419هـ - 1998م)، 168.



- التتبع التاريخي الدقيق، والاهتمام بتقنين التطور وتعليقه.

ولم يكنف بعضهم بالمقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة فحسب، بل راح يُقارن بين أسرتين لغويتين على نحو ما فعل مولر في كتابه (اللغات السامية والهندية الجرمانية)، وقد نُشر هذا الكتاب في كوبنهاجن سنة 1907م.

يهدف المنهج المقارن إلى تصنيف اللغات إلى أسرٍ وفروع لغوية، ويقوم هذا التصنيف على أوجه التشابه في المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية بين اللغات موضع التصنيف، فإنه لا يمكن الاعتماد على المفردات في إثبات القرابة بين اللغات والتوافق النحوي أقوى دلالة على القرابة، لأن اللغة التي تمتزج بغيرها لا تقتبس إلا نادرًا تحولات الصرف والإعراب وقد لا تقتبسها مطلقًا، كان من أهداف بعضهم سبر أغوار الفكر الإنساني باعتبار أن اللغة وسيلة للتعبير عن الروح القومية، وليس تنوع اللغات إلا دليلًا على تنوع العقليات، وإن تفوق البنية اللغوية دليلًا على تفوق الذهنية والعرق⁵.

العلاقة بين المنهج التاريخي والمنهج المقارن والفرق بينهما:

يُنظر إلى علم اللغة التاريخي من بعض النواحي على أنه دراسة مقارنة، حيث يعتمد المنهج المقارن على أسس المنهج التاريخي، ويختلف عنه في أن الدرس المقارن يهتم فيه الباحث بمقارنة لغتين أو أكثر من ناحية أو أكثر، ويعتمد علم اللغة المقارن على المقاربة لإيضاح العلاقات التاريخية بين لغات معينة، وحصر أوجه التشابه بين اللغات المختلفة دون أي اعتبار للعمل التاريخي، ومن أبرز نتائج هذا المنهج: أنه حصر اللغات الإنسانية المكتوبة في تسع عائلات مصنفة حسب تشابه كل عائلة في الملامح العامة، سواء أكانت صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية.

ونستطيع القول: بأن المنهج المقارن وثيق الصلة بالمنهج التاريخي، فكلاهما ينظر في ملامح التطور التي يُصيب الظاهرة اللغوية، وكلاهما يستعمل الأدوات البحثية نفسها، كالنقوش والنصوص المكتوبة والمنطوقة، وما يُميز المنهج المقارن عن المنهج التاريخي: أنه يدرس الظاهرة اللغوية في اللغات التي تنتمي إلى أرومة واحدة، كأن ندرس أسلوب الشرط في اللغات السامية، على حين يقتصر المنهج التاريخي في دراسته على لغة واحدة من لغات المجموعة الواحدة، كأن ندرس تطور أسلوب الشرط في اللغة العربية.

إنَّ هدف المنهج المقارن تأصيلي، يرصد نقاط الالتقاء والتقاطع بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة، في سبيل تصنيف اللغات في أسر لغوية، وملاحظة عملية التأثير والتأثر في الأسرة الواحدة، فما تشابه منها في أبنيتها الصرفية وتراكيبه النحوية واطراد تبادل قوانينه الصوتية، عُدَّ من أسرة واحدة، وإلا فهو خارج هذه الأسرة.

ملامح المنهج التاريخي والمقارن في التراث العربي

لقد بدأت الدراسات اللغوية المقارنة في القرن الثامن عشر على يد وليام جونز، الذي تنبه إلى القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية من جهة وبين اللغات الأوروبية عامة بحسب المصادر، وأما الدراسات اللغوية التاريخية فقد بدأت في القرن التاسع عشر متداخلة مع الدراسات المقارنة، وقد أعتبر جريم مؤسسًا لهذا النوع من الدراسات اللغوية التي تستهدف أن تبحث في قضية لغوية من حيث تطورها وتغيراتها خلال التاريخ في عصر بعد العصور حسب استمرار نموه وتطوره، وازدهار المنهجان في القرن العشرين.

ومع ذلك، عندما ننظر إلى دراسات اللغويين العرب القدامى، يمكننا القول: إن هذين المنهجين ظهرا قبل القرن الثامن عشر بوقت طويل، وسيتناول هذا الجزء من البحث دراسة مساهمات العلماء العرب قديمًا وحديثًا في هذين المنهجين وفق تسلسل زمني.

⁵ محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دط، (القاهرة: دار غريب، 1422هـ - 2001م)، 97.

المنهج التاريخي والمقارن عند العرب القدامى:

قد نجد شذرات سريعة وموجزة في آن واحد تكشف عن معرفة القدماء بوجود صلاتٍ بين العربية وغيرها من اللغات، يشير الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن اللغات السامية لم تكن مجهولةً تمامًا بالنسبة لعلماء العربية، حيث فطن الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) في معجمه (العين) إلى العلاقة بين الكنعانية والعربية، فقال: "وكنعان بن سام بن نوح، يُنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تُضارع العربية"⁶.

ونلاحظ أن سيبويه (ت: 180هـ) قد خصَّص بابًا سماه: (باب اطراد الإبدال في الفارسية) في كتابه المشهور (الكتاب)، وفي هذا الباب شرح كيف يبديل الفارسيون الحروف، وقد أثبت قواعد الإبدال المطردة في الفارسية وغير المطردة، قال: "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو: الجربز، والأجر، والجورب، وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم: قريز، وقالوا: كريق، وقريب... وأما ما لا يطرد فيه البديل فالحرف الذي هو من حروف العرب، نحو: سين سراويل، وعين إسماعيل، أبدلوا للتغيير الذي قد لزم، فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالإضافة، فأبدلوا من الشين نحوها في الهمس، والانسلال من بين الثنايا، وأبدلوا من الهمزة العين، لأنها أشبه الحروف بالهمزة"⁷، وسبب الإبدال في الفارسية كما ذُكرت هو التشابه والتقارب بين الحروف.

كما عرف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) اللغة السريانية، وأداة التعريف فيها وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها، وإلى جانب ذلك ذكر أبو عبيد موافقة الكلمات القرآنية بين اللغة العربية واللغات الأخرى في كتابه (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم)، وقد نقل أبو عبيد قول ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، قال: "بلسان قريش ولو كان غير عربي ما فهموه، وما أنزل الله كتابًا من السماء إلا بالعربية، وكان جبريل -عليه السلام- يترجم لكل نبي بلسان قومه، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]، فليس ما وقع من ألسنة الأمم أو سمع من لسان العرب في القرآن ليس فيه إلا لغة العرب، وربما وافقت بعض اللغات أيضاً؛ فأما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء"⁸، ومثاله ذلك كلمة: (الطور) التي تأتي في بعض السور في القرآن بمعنى الجبل، وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية، وعبارة: ﴿تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24] بمعنى: جدولاً، أي: نهراً بلغة توافق اللغة السريانية، وكلمة: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: 79]، يعني: علماء، وافقت اللغة السريانية، وكلمة: ﴿كَمْشَكَاةٍ﴾ [النور: 35]، يعني: الكوة بلغة توافق الحبشة.

وخصص أبو حاتم الرازي (ت: 277هـ) بابين في كتابه (كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) سماهما: (لغة العرب تامة الحروف) و(النقصان والزيادة في اللغات)، وهو يقارن بين اللغة العربية واللغات الأخرى، قال: "إن لغة العرب هي اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشينيها النقصان، ولم يزد فيها شيء فيعييها الزيادة، وسائر اللغات فيها زيادة حروف مولدة وينقص عنها حروف أصلية... وقد تدرنا سائر اللغات، فوجدنا فيها مثل ما ذكرنا من الزيادة والنقصان، الذي هو العيب البيّن والشين الظاهر"⁸.

وقال أبو حاتم في باب (النقصان والزيادة في اللغات): "وسائر اللغات نقصت وزادت مثل اللغة الفارسية، فإنها قصرت عن العين والغين والحاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والثاء، حتى لا يوجد في لغتهم الأصلية كلامٌ يتكلم به على هذه الحروف"، وشرح القلب والإبدال في الفارسية أيضاً فقال: "فإذا اضطروا إلى أن يتكلموا بكلمة عربية أو معربة في بنيتها حرفٌ من هذا الأحرف قلبوا ذلك الحرف إلى حرفٍ قريب الحيز والمدرج منه، أو إلى حرفٍ يُشْمُونه ذلك المعنى، كما قلبوا الحاء إلى الهاء، فقالوا لمحمد: مهمد،

⁶ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط 3، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ - 1998م)، 201.

⁷ عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، ط 3، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ - 1988م)، 303/4.

⁸ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ط 1، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1415هـ-1994م)، 75.



وقلبوا العين إلى الألف ممدودة مهموزة فأشموها معنى العين فقالوا لعل: ألى... وولدوا أحرفاً ليست بأصلية، فولدوا بين الفاء والباء حرفاً فقالوا للرجل: باي...⁹.

ولابن دريد (ت: 321هـ) إشاراتٌ إلى السريانية والعبرية، وله مقارناتٌ صحيحةٌ بينهما، فقد قارن الحروف بين اللغة العربية واللغات الأخرى، فيقول في كتابه (جمهرة اللغة): "أعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً مرجعين إلى ثمانية وعشرين حرفاً، منها حرفان مختصان بهما العرب دون الخلق، وهما: الظاء والحاء، وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة، وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب، ومنها ستة أحرفٍ للعرب ولقليلٍ من العجم، وهن: العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء، والباقي فللخلق كلهم من العرب والعجم إلا الهمة فإنها ليست من كلام العجم إلا في الابتداء"¹⁰، وقد قارن أيضاً أسماء الأيام والشهور بين الجاهلية وعصره، وخصص باباً سماه: (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة) وذكر فيه الكلمات التي تأتي إلى العربية من اللغات الأخرى¹¹.

وقد تطرق **ابن فارس (ت: 395هـ)** في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها) إلى تطور الكلمات وتغيرها بين العصر الجاهلي والإسلامي، مبيهاً أن الحياة التي صنعها الإسلام للعرب أحدثت تطوراً وتوسعاً في محتويات كثيرٍ من كلمات لغتهم، وضيقت في غيرها، وتغيرت كاملاً في دلالاتٍ أخرى، نظراً لما أضيف إلى حياة العرب من قيمٍ ونظمٍ، وهكذا ظلت ألفاظ العربية عرضةً للتطور بسبب التحولات التاريخية وتغير النظم الاجتماعية والعوامل الإنسانية والنفسية واللغوية والحضارية، فيقول ابن فارس: "كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم في لغاتهم وأدابهم ونسائلكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسخت دياناتٌ، وأبطلت أمورٌ، ونُقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضع إلى مواضع أخر بزياداتٍ زيدت، وشرائعٍ شرعت، وشرائطٍ شرطت"¹².

ثم ضرب مثلاً فقال: "فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائطاً وأوصافاً بها سُمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسمٌ جاء به الإسلام لقومٍ أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاقه اليزبوع، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: "فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ" إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه... ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم: الدعاء، وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة"¹³، وقد استشهد بالشعر لإظهار تطور وتغير الكلمات، ثم قال: "فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والموافيت والتحريم للصلاة، والتحليل منها، وكذلك القيام أصله عندهم الإمساك، يقول شاعرهم¹⁴:

خيلاً صيماً وأخرى غير صائمة *** تحت العجاج وخیلٌ تعلقك اللجماً

ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والمباشرة وغير ذلك من شرائع الصوم".

وقد قارن بين العربية وسائر اللغات من حيث تفوقها، فيقول: "وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسمٍ واحدٍ،

⁹المرجع السابق، 76.

¹⁰محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، ط 1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ - 1987م)، 41/1.

¹¹المرجع السابق، 1322/3.

¹²أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ت: أحمد حسن بسج، ط 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1997م)، 44.

¹³المرجع السابق، 45.

¹⁴البيت للناطقة الذبياني كما في ديوانه: 217.



ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأثنياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذلك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا يخفاء به على ذي نهية¹⁵.

وبرزت الدراسات المقارنة عند الأندلسيين، فقد أدرك ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) القرابة اللغوية بين العربية والعبرية والسريانية، وشبه هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة فقال: "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط -وهي على ليلّة واحدة من قرطبة- كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول: مهمداً، إذا أراد أن يقول: محمداً، ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل، وهكذا أتيج لبعض النحاة والمفكرين في الدولة الإسلامية أن يعرفوا لغات متشابهة ومن أصل واحد مثل العربية والعبرية والسريانية، وأن يعرف بعضهم إلى جانب العربية لغات تختلف بنيتها عن بنية اللغات السامية مثل اللغة الفارسية وهي لغة هندية أوروبية، واللغة التركية، وهي لغة تنتمي إلى مجموعة لغوية أخرى"¹⁶.

واستوعب أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ) العلاقة بين العربية والحبشية، وكتب كتاباً خاصاً، وقرن فيه بين العربية والحبشية، فقد أورد في تفسير البحر المحيط نصاً يذكر فيه أنه ألف كتاباً في العلاقة بين العربية والحبشية، وأنه كان يعرف مدى القرابة بين اللغتين، فقال: "وقد تكلمت فيه عن كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة، المسمى بجلاء الغبش عن لسان الحبش، وكثيراً ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ وفي قواعد من التراكيب نحوية، كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعديّة".

وقد بنى رمضان عبد التواب على هذا النص رأياً يذهب فيه إلى أن بعض العلماء العرب كانوا على درجة طيبة من الوعي بالآليات المنهج المقارن، مكنتهم من الكتابة في موضوعات علم اللغة المقارن.

المنهج التاريخي والمقارن عند العرب المحدثين:

اهتم اللغويون العرب المحدثون بالدراسات التاريخية والمقارنة اهتماماً كبيراً، وألّفوا كتباً فيها، بعضها نظري يتناول تاريخ المنهجين وتعريفهما وأهدافهما ومبادئهما، وبعضها الآخر تطبيقي يستعرض ميادين البحث المقارن والتاريخي، وتقارن اللغات من ناحية الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، وتستجلي الصلات بعضها ببعض، ومن أبرزهم:

- لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، للدكتور ضاحي عبد الباقي (القاهرة: 1405 هـ - 1985م): يتناول هذا الكتاب لغة أولئك الأقوام الذين ينتسبون إلى تميم بن مر بن أد، والذين كانوا يقيمون في الربع الشمالي الشرقي من الجزيرة، وهو دراسة تاريخية وصفية للغة هذه القبيلة في الزمن السابق لتسرب اللحن إلى العربية، وهو المعروف بعصور الاحتجاج، ويحاول هذا الكتاب التأريخ لكل ظاهرة أو كلمة تُسببت إلى تميم.

- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، للدكتور إسماعيل أحمد عمارة (الأردن): مركز الكتاب العلمي، 1407 هـ - 1986م): يدرس هذا الكتاب ظاهرة التأنيث في العربية على ضوء دراسة هذه الظاهرة في شقيقتها من اللغات السامية كالسريانية والعبرية والحبشية والأكدية وغيرها، وهي دراسة تأصيلية تتضمن الكلام عن جنس الاسم في اللغات السامية، وأصل التذكير والتأنيث لغويًا، والتأنيث الحقيقي والمجازي والقياسي والسماعي وعلامات التأنيث في الأسماء والأفعال إلى غير ذلك من المباحث.

- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية، للدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي (القاهرة: دار الجريسي، 1415 هـ - 1994م): تتناول هذه الدراسة تاريخ العربية في ضوء اللغات السامية وبعض قضايا فقه

¹⁵ المرجع السابق، 19.

¹⁶ محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، د.ط، (القاهرة: دار غريب، د.ت)، 124.



العربية وتبدأ بتمهيد عن نشأة اللغة الإنسانية، وكيفية تفرعها وانقسامها إلى ما أصبح يعرف بالفصائل اللغوية، ثم انقسمت بعد ذلك إلى أربعة أقسام، في الفصل الأول تحدث المؤلف عن فصيلة اللغات السامية من حيث موطنها الأصلي، وفي الفصل الثاني تكلم عن العربية المبكرة التي سبقت فصحي التراث وممثلة في لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، وفي الفصل الثالث تناول قضيتين من قضايا فقه اللغة العربية، هما: قضية الإعراب الذي يعد أهم خصائص العربية الفصحى، وقضية التعريب التي لا تزال منذ فجر الإسلام تشغل بال كثير من اللغويين والمفسرين والفقهاء، وفي الفصل الرابع عرض المؤلف لقضايا أخرى من قضايا فقه اللغة، مثل موضوعات من كتاب قطرب عن الأضداد، وكتاب ابن سكيك في القلب والإبدال، وكتاب الإمام الخطابي: "غريب الحديث".

- **اللهجة المصرية الفاطمية دراسة تاريخية وصفية**، للدكتور عطية سليمان أحمد (السويس): 1414هـ - 1993م): هذه الدراسة تنتسج من أربعة أبواب أولها: عن الأصوات هذه اللهجة، والثاني: عن مفرداتها، والثالث: عن دلالتها، والرابع: عن تراكيبها.

- **العربية وعلم اللغة الحديث**، للدكتور محمد محمد داوود (القاهرة: دار غريب، 1422هـ - 2001م): يتألف الكتاب من تسعة أقسام: تكلم في الفصل الأول عن اللغة العربية والقرآن الكريم، وفي الفصل الثاني عن تعريف اللغة وأهم خصائصها، والفصل الثالث عن اللغة واللهجة واللحن، والفصل الرابع عن نشأة علم اللغة والملاح والمنهج والصلة بالعلوم الأخرى، والفصل الخامس عن الأصوات العربية بين النظرية والتطبيق، والفصل السادس عن صرف العربية ونحوها، والفصل السابع عن علم الدلالة، والفصل الثامن عن تصنيف اللغات والأسرات اللغوية، والفصل التاسع عن العربية والحاسوب.

- **التغيرات التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية**، للدكتورة أمينة صالح الزعبي (الأردن: دار الكتب الثقافي، 14029هـ - 2008م): يبحث هذا الكتاب في قضية التبدلات الصوتية في العربية واللغات السامية، والحاجة الماسة إلى موضوعات علم اللغة المقارن، وتطرق إلى ذكر قضايا التحول الصوتي في اللغة العربية وأنها بحاجة إلى أن تدرس ضمن منظومة اللغات التي تسمى اللغات السامية.

الخاتمة

وبعد دراسة (ملاح المنهج التاريخي والمقارن في التراث العربي) في هذا البحث، جاءت نتائج البحث كما يلي:

- 1) عرف المنهجين التاريخي والمقارن في القرن التاسع عشر، وازدهرا في القرن العشرين.
- 2) هناك فرق بين المنهج التاريخي والمقارن، إذ يستهدف المنهج التاريخي تتبع الظاهرة اللغوية في اللغات التي تنتمي إلى أرومة واحدة في ماضيها وحاضرها، وأما المنهج المقارن فيهتم بمقارنة لغتين أو أكثر.
- 3) التشابه بين المنهجين من حيث أن كليهما ينظر في ملاح التطور التي يصيب الظاهرة اللغوية، وأنها يستعملان الأدوات البحثية نفسها.
- 4) اهتم علماء العرب القدماء بالمنهجين بدقة، وأدركوا الاختلافات والتشابهات بين العربية واللغات الأخرى.
- 5) أسهم علماء العرب المحدثون إسهامًا طيبًا في دراسة علم اللغة الحديث، وأفردوا للمنهجين التاريخي والمقارن كتبًا عديدة جمعت بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

المصادر والمراجع

1. ابن دريد، محمد بن الحسن. (1987). *جمهرة اللغة*، ت: رمزي منير بعلبكي، (ط.1). بيروت: دار العلم للملايين.
2. ابن فارس، أحمد. (1997). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، ت: أحمد حسن بسج (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.
3. ابن فارس، أحمد. (1979). *معجم مقاييس اللغة*، ت: عبد السلام هارون، (ط.2). عمان: دار الفكر.
4. باي، ماريو. (1998). *أسس علم اللغة*، ترجمة: أحمد مختار عمر، (ط.8). القاهرة: عالم الكتب.
5. حجازي، محمود فهمي. (د.ت). *علم اللغة العربية* (د.ط). القاهرة: دار غريب.



6. الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. (1994). كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (ط.1). صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني.
7. زوين، علي. (1986). منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (ط.1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
8. سبيويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، (ط.3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
9. عبد التواب، رمضان. (1997). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ط.3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
10. عبد الدايم، محمد عبد العزيز. (2006). النظرية اللغوية في التراث العربي (ط.1). القاهرة: دار السلام.
11. محمد داوود، محمد. (2001). العربية وعلم اللغة الحديث (د. ط). القاهرة: دار غريب.